حكايات نبوية

٧

# بارك الله لكما في ليلتكما..!!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

# وإنَّ القلبَ ليحزَن..

قُبَيْلَ أذانِ صلاةِ الظُّهْرِ سمعَ أهلُ البلدةِ آياتِ الذِّكرِ الحكيمِ تُتلَى من فوقِ المآذنِ..

قالَتْ (أُمُّ خُضر) لجارتِهَا (أمّ يحيى): يَبْدُو أنَّ هناك شَخْصاً قدِ انتقَلَ إلى رحمةِ اللهِ تَعالى..

أجابَتْ (أمُّ يحيى): نَعَمْ، لقد رأيتُ سيَّارَةَ الإسعافِ صَباحاً تتوجّهُ باتِّجاهِ المَشْفَى..

وفجأةً انقطعَ صوتُ قِراءَةِ القرآنِ الكَرِيْمِ. وقالَ المُؤذّنُ (أبو عليّ):

إخوانِي الكِرَامَ انتقَلَ إلى رَحمةِ اللهِ تَعالى أَخُوكُمْ الشَّاب (حُسَين).

والصَّلاةُ عليهِ بعدَ صَلاةِ الظُّهْرِ ، يَرْحَمنَا ويَرحمكُمُ الله.

(حُسَيْن)! الشَّابُّ الوَرِعُ.. التَّقِيّ الغَيُورُ.. صَاحِبُ الأيادِي البَيْضَاء.. الذي كَانَ يَكْرَهُ الخِصَامَ.. والكَلامَ الفاحِشَ.. والذي كانَ يَسعىٰ للإِصْلاحِ والخَيْرِ و..

(حُسَين).. ـ قالتْ (أُمُّ يحيى) ـ.. ولكنَّها إرادةُ اللهِ.. ولا رَادَّ للقضَاءِ والقَدَرِ...

قالتْ (أُمُّ خضْر): هَكذا حالُ الدُّنيا.. فلا بقاءَ ولا أبديَّة إلاَّ للهِ الواحِدِ الدَّيَّان:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾.

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾.

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾.

هَـزَّتْ (أمُّ يحيـى) رأسَهَـا وردَّدتْ كَلِمَـاتِ المُصطَفى ﷺ وذلكَ عندَما فارقَتِ الرُّوحُ ابنَهُ (إبراهِيم):

«إنَّ العَيْنَ لتدْمَعُ ، وإنَّ القَلبَ لَيَحزنُ ، وإنَّا على فِراقِكَ يا إبراهيمُ لَمَحْزُونُون ، ولكنْ لا نَقُولُ إلاّ ما يُرْضِي ربَّنا: إنَّ للهِ وإنَّا إليهِ راجِعُون».

## موكبٌ مهيبٌ

وبعدَ صلاةِ الظُّهرِ احتشدَ غالبيَّةُ أهلِ البَلَدِ خارجَ المَقْبَرَةِ.. ، بينَما سارَتِ الجَنازَةُ في موكبٍ مهيبٍ.. والنَّاسُ بينَ باكٍ ومترحّمٍ على (حُسين)... ، وأخذَ أصدقاؤهُ الشَّبابُ يَهتفونَ: لا إلٰهَ إلاّ الله.. حُسين حبيبُ الله.. يا جَنَّة افتحِي

أبوابكِ.. الشَّهيدُ حسينٌ مِنْ زُوَّارِكِ.. وَعَلْتْ صَيحْاتُ التَّكبيرِ من حَناجر الأَصْدِقاءِ والأحْبَابِ..

وبعدَ صلاةِ الجَنَازَةِ... وقفَ شيخُ البَلدةِ وقالَ: أيُّها الأحبَّة!

لا نَمْلكُ أمامَ هذه المُصِيبَةِ العُظمَى إلاّ التَّسليمَ للهِ الواحِدِ.. فهوَ الَّذي أعطَىٰ ، وهوَ الذي أَخَذَ:

ومَا المَالُ والأَهْلُونَ إلاّ وَدائِع
ولا بدَّ يَوماً أَنْ تُرَدَّ الوَدائِعُ

وعلى هذا الطَّريقِ سارَ جَمِيْعُ الأَنْبياءِ والرُّسلِ صَلواتُ اللهِ عليهِم.. لذلكَ.. فالصَّبرَ.. الصَّبرَ يا أهلَ الفَقِيدِ.. ويا أحبابَهُ وأصدقاءَهُ.. فاللهُ وَعدَ الصَّابرين أَجراً عَظيماً.. ورتَّلَ بِصَوْتٍ هادئٍ حَزينٍ قوله تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾.

ثمَّ أجهشَ الشَّيخُ بالبُكاء.. وبكَىٰ الحَاضِرونَ لبكائِه.. ولم يعدْ باستطاعتِهِ أنْ يُكْمِلَ حديثَهُ..

ثُمَّ تقدَّمَ الشَّابُّ (حَسن).. وقالَ: الحَمْدُ للهِ الذي بلَّغ أَخي (حُسين) ما كان يأملهُ وَيحلمُ بهِ.. وهيَ الشَّهادَةُ في سَبِيْلِ اللهِ تَعالى.. ، ونَسألُ اللهَ أَنْ يحشرَنَا معهُمْ.. ويجعلهُمْ شفعاءَ لنَا.. آمين.

ثُمَّ شَكَر كلّ الذينَ شاركوهُم هذا المُصابَ.. ودَعا اللهَ أنْ يجمعَ الجَميعَ على ما يُحِبُّ ويَرْضَىٰ..

ووريَ جثمانُ الشَّاب (حُسين) الثَّرى.. بينَما كانَ أصدِقَاؤهُ يرتِّلونَ سورةَ الواقِعَة..

## لا اعتراضَ على حُكمكَ يا رَبّ

وسارعتْ نِسْوةُ الحيِّ إلى بيتِ (أمِّ حُسين..) ولَعمْرِي ما أصعبَ فِراقَ قلب الأمِّ لابنِهَا..!

وتبكِي (أمُّ حُسين) ولدَها.. وتقولُ: آه يا فلذَةَ كَبدي.. ويا قلبِي.. لقدْ كُنْتُ أَنتظرُ ساعةَ عودتِكِ.. لأفرَحَ بكَ الفَرحةَ الكُبرَىٰ..

لقدْ بَحثتُ لكَ كَثيراً حتَّى وَجدتُ الفتاةَ العَفِيْفَةَ..

(الآنسةَ لَبِيبَة).. وهيَ حقّاً تحملُ صفاتٍ مِثْل اسمَها ، فهي ذكيَّةٌ ولبيبةٌ ، وهيَ مُجتَهِدةٌ ومثقَّفَةٌ.. وهي نشيطةٌ ومحبَّةٌ للنَّاسِ..

لكنَّ الفَرْحةَ لمْ تكتملْ.. والإنسانُ يخطّطُ ويحسبُ.. والقَضاءُ والقَدَرُ يخطّطُ شيئاً آخرَ.

وتبكِي (أمُّ حسين).. ثمَّ تفقدُ وَعْيهَا.. وتغيبُ عنِ النَّاسِ..

وتَتَقدَّمْ ابنتهَا (الشَّيْماء).. فترشُّ على وَجْهِها الماءَ.. والكالونيا.. وتعصرُ في فَمِهَا قَلِيلاً من اللَّيمون.. وتستفيقُ الوالدةُ وهيَ تقولُ:

أسألُ اللهَ لكَ يا حُسين مرافقةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في الجنَّةِ... ونحنُ لا نملكُ من أَمْرِنا أيّ شيءٍ.. ولا اعتِراضَ على حُكْمكَ يا ربّ.

## وجاءتِ الأنسةُ (لَبِيبَة)

وفي هذا الحَشْدِ من النِّساءِ.. وقَفَتِ الآنسةُ

(لَبية).. وافتتحتْ كلمَتَها.. والدُّمُوعُ تسيلُ على وَجْنَتَيهَا:

لو كنَّا نستطيعُ أَنْ نفديكَ يا حُسين بكلِّ ما نملكُ؛ لنَمنعَ الموتَ عَنْكَ لفعلنَا.. ولكن ما هِيَ حِيلتنَا.. واللهُ تَعالى خاطَبَ أعظمَ مخلوقاتِهِ حَبِيبَنا محمَّد ﷺ بقَوْلِهِ:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾.

لذلكَ علينَا أنْ نُردِّدَ قولَه صلواتُ اللهِ علَيهِ: «اللَّهُمَّ أْؤْجُرْني في مُصِيْبَتِي ، وأَخْلِفْ لِي خَيراً منهَا».

وعلينَا نحنُ أمامَ المَصائِبِ - كما في الأَفْراحِ - أنْ نُضْبَطَ بضَوابطِ الشَّريعةِ الإسلاميّةِ ، فلا عَويلَ ولا صُراخَ ، ولا تمزيقَ

ثيابٍ ، ولا.. إنَّما تِلاوَةٌ للقُرآنِ.. وذكرٌ للهِ تَعالى.. وحَمدٌ.. وصبرٌ على ما كَانَ..

## وهلْ نسيتُنَّ حكاية (أمّ سليم)؟!

ثمّ قالتِ الآنسةُ (لَبِيْبةُ):

إنِّي أُذَكِّرُكُنَّ بِحِكَايَةِ الصَّحابيَّةِ الجَلِيلَةِ (أمّ سُلَيْم) رَضِيَ اللهُ عَنْها:

فبعدَ أنْ أَعْلَنَت إسلامَهَا ، تزوَّجَتْ من أَبي طلحةَ ، رضيَ اللهُ عَنْهُ ، ودارَ الزَّمنُ دَورَتهُ.. ووضعتْ غُلاماً ذَكراً.. وفرحتْ بهِ فَرَحاً كَبِيراً وتعلَّقَ زوجُهَا به.. وراحتْ تحنُو عليهِ... وتُدلِّله... وذات ليلةٍ مَرِضَ الغُلامُ.. ثمَّ ماتَ!

فمَاذا فعلتْ (أمُّ سليم) أمامَ تِلكَ المُصِيْبة؟

ذَرفتْ دموعَ عينيهَا.. وتَحرَّقَتْ على فراقهِ.. لكنَّها ردَّدتِ: الحَمْدُ للهِ على كلِّ حالٍ ، وأسألُ اللهَ أَنْ يُبْدِلَنا خيراً منهُ..

و.. أَخْفَتِ الخَبرَ.. وأعدَّتْ طَعاماً فَاخِراً.. وَتزيَّنَتْ لزوجِهَا..

ولمَّا دخلَ (أبو طَلْحَةَ) البَيْتَ.. اسْتَقبَلتهُ أحسنَ استقبالٍ.. وأدخَلَتْهُ المَطْبخَ ، وتناوَلا الطَّعام اللَّذيذ.

ولمَّا سألَها عن ولدِه قالتْ: هُوَ بِخيرٍ ، لقد نامَ نَوماً عَمِيقاً..

ونامَ (أبو طَلحَةَ) مع زوجتهِ الصَّابِرة ، وقُبَيْلَ الفجرِ نَهَض الرَّجُلُ لأداءِ صلاةِ الفَجرِ.. ولمّا توضأَ.. وتوضأَتْ زوجتهُ.. التفتَتْ إليهِ وقَالَتْ:

يا أَبا طَلحةَ! لو أنَّ قَوماً أعارونَا إناءً ، ثُمَّ طَلبوا الإِنَاءَ ، هل نمنعهُم إناءَهُمْ؟

فقالَ: بل نعطيهِم إناءَهُم ، ونشكُرُهُم.

قالتْ: فاصْبِرْ واحْتَسِبْ، فإنَّ اللهَ أخذَ أمانَتهُ.. وقد ماتَ ابنكَ..

فبكَى حُزناً عليهِ.. وتمتَمَ بكلماتِ الاسْتغْفارِ.. والصَّبرِ... والتَّسليم، ثمَّ قال: هيَّا بنَا إلى رَسولِ اللهِ ﷺ.

## عِنْدَ طبيبِ القُلُوبِ ﷺ

وابتسَمَ لهما الرَّسولُ وقال: «باركَ اللهُ لَكُما فِي لَيْلَتِكُما»..

واستجابَ اللهُ الدُّعاءَ.. وبعدَ أَشْهرٍ وَضعتْ

(أمُّ سليم) جَنينَها ، فحملهُ (أبو طَلحةَ) إلى النَّبيِّ ﷺ. فأطعمهُ قطعةً من تمرةٍ ، وأطلقَ عليهِ اسمَ (عبدِ الله).. وكانَ صَحابياً مباركاً.

حتَّى أصبحَ لعبدِ اللهِ تِسْعةُ أولادٍ ، كلّهم يحفظونَ القُرآنَ الكَرِيم.

وبكَتْ (أمُّ حُسين) لصَبرِ (أمِّ سليم)... وبكَتِ النِّسوةُ جميعاً.

فقالتْ (أمُّ محمَّد): باركَ اللهُ فيكِ يا آنسة.. ونسألُ اللهَ أَنْ يجمعَكِ بالشَّابِّ (حسين).. في الجنَّةِ.. ومعَ النَّبيينَ... والصِّدِّيقينَ.. والشُّهداءِ.. والصَّالحينَ... ومعَ كلِّ الصَّابِرينَ.. آمين..

وارتفعَ أذانُ المَغْربِ من مآذنِ البَلدةِ.. والتزَمَ الجَمِيعُ الصَّمتَ.

فالصَّلاةُ قد حانَ وَقْتُهَا. فحيَّ على الصَّلاةِ..

حيَّ على الفَلاَحِ..

.... وإلى حِكَايَةٍ أُخرى مِن الحكاياتِ النَّبويَّةِ بإذنِ اللهِ تَعالى.

وآخرُ دَعْوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ